

عالمية الإسلام

عالمية الإسلام

عبيد الحق

خطيب المسجد الوطني بيت المكرم - دكا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وعترته هداة للمؤمنين.

جاء محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) برسالة عالمية متممة لرسالة الأنبياء السابقين من الدعوة الى وحدانية الله تعالى وتوحيد الأمة كما بيّن الله تعالى في قوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) وإنما يختلف الإسلام عما سبقه بعالميته وشموله وواقعيته وتنظيمه لمختلف شؤون الحياة وهو بذلك قد

اشتمل على الاقسام الرئيسية الأربعة:

1_ وحدة العقائد ... في عالم الإسلام كله.

2_ وحدة العبادات ... في عالم الإسلام كله.

3_ وحدة الآداب ... في عالم الإسلام كله.

4_ وحدة القوانين العامة ... في عالم الإسلام كله.

1_ فوحدة العقائد تقوم على الأسس المحكمة التالية:

الاول: الايمان بإله واحد كامل هو رب الكائنات جميعها (خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) خلقها وأودع فيها من الاسرار ما يجب على الناس ان يحيطوا بها (قُلْ انظُرُواْ مَاذَا فِى السَّمَآوَاتِ وَالْأَرْضِ) وهي وحدها الدليل على وجوده ووحدانيته (إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَّآوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِى الْأَبْصَارِ).

الثاني: وهذا الإله الذي خلق الكائنات وجعل الانسان اكرم ما فيها ووهبه نعمة العقل ليهتدي به الى وجوده فيعرف مكانه من الحياة ومن ا[] هو الذي أرسل الرسل للناس ليدلوهم على ما لا يهتدون اليه بعقولهم أو ما تشبه فيه السبل او تختلف فيه الآراء وتتباين المصالح (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) وانزل عليهم كتباً يصدق بعضها بعضاً ويتمم المتأخر منها المتقدم، وهذه الكتب تدعو الى مبدأ واحد في الرسالات كلها (وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لَـئِىَعْبُدُوْاْ إِلَـهًا وَاحِدًا).

الثالث: ليس بين الانسان وبين الله واسطة (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَا يَسْتَجِيبُوا لِي وَلَئِيْؤُا مِّنْ دُونِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُوْنَ) ولا يملك أحد إجبار أحد على عقيدة (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فِي الدِّينِ) ولا يملك أحد أن يغفر الذنب إلا الله وحده (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) حتى الرسل والأنبياء ليسوا إلا مبلغين رسالات الله (فَإِن زَمَمْنَا عَلَيْكَ الْبَلَاءَ) وهم لا يملكون حق السيطرة على ضمائر الناس وعقولهم (لَّيْسَ عَلَيْنَا هُدَاهُمْ) (فَذَكِّرْ إِن زَمَمْنَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) ولا يملك أحد منهم حق مغفرة الذنب لمن لن يغفر الله ذنبه (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ).

2_ وحدة العبادات

الأول: ربط الإنسان بربه دائماً حتى لا ينسى عبوديته له ورجوعه اليه واحتياجه الى عونه (إِيسَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيسَّاكَ نَسْتَعِينُ) وفي ذلك ما فيه من تحرير الانسان من عبوديته لقيم الحياة الباطلة او شهواتها القاتلة، وما يصاب الناس في أموالهم وسعادتهم وكرامتهم إلا من هاتين الآفتين.

الثاني: تهذيب خلقه وتذكيره بواجبه نحو نفسه ونحو الناس وتقوية روابط الود والتعاون بينه وبين الناس في العالم كله، حتى لا ينسى أنه فرد من أمة وعضو في مجتمع له عليه حق النصح والعون - لذلك نرى القرآن حين يتحدث عن فوائد العبادات يذكر آثارها في النفس وفي المجتمع فيقول عن فوائد العبادات يذكر آثارها في النفس وفي المجتمع فيقول عن الصلاة (إِنَّ الصَّلَاةَ تَذَكُّهُنَّ) (الفَحْشَاءَ وَالْمُنكَرَ) ويقول عن الزكاة (تُطَهِّرُهُنَّ عَنْ رُفُسُهُنَّ وَتُزَكِّيَهُنَّ) ويقول عن الصوم (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ويقول عن الحج (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُنَّ).

ويلاحظ في الألفاظ الواردة في الصلوات انها كلها في صيغة الجمع وان تلاها المصلى وحده في بيت أو على رأس جبل (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (والسلام علينا وعلى عبادِ الصالحين) فالإسلام لا يرى العبادة مقبولة إلا إذا أدت الى اهدافها الاجتماعية لأنه دين عالمي يراقب في جميع مظاهره الوحدة الاجتماعية (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا).

الثالث: تدريبه على احتمال الشدة وشطف العيش وذلك واضح في الوضوء والقيام والركوع والسجود في الصلاة وفي السعي والطواف والوقوف بعرفات والمبيت بمزدلفة والإقامة بمنى في الحج وفي الجوع والعطش والسحور في الصيام.

3 - وحدة الآداب: فهي تدور حول المقاصد التالية

الاول: تقوية الشخصية الفردية حتى تنهض بعباً الواجبات وتحمل مشاق الحياة وتستلذ طعم التضحية والجهد في سبيل الحق والخير.

وملاك هذه التربية ثلاثة أخلاق: الصبر والقوة والعزة.

واما القوة: فلا صبر مع ضعف الجسم وانحلال القوى ولذا قال (عليه السلام): (المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف)، وقد كره الإسلام الغلو في العبادة حتى تؤدي الى انهك الجسم وازعافه.

اما العزة: فإن الإسلام لا يرى صبر الازلاء فضيلة يحمدون عليها ولكن يرى الفضيلة في صبر الاقوياء الاعزاء الذين يثبتون عند المحنة ويرفعون رؤوسهم آنفة من المهانة (وَلِلَّاسَةِ الْعِزَّةُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلْإِلهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

الثاني: تنمية الاجتماع والتعاون بين المواطنين والقضاء على روح الاثرة والانعزالية في الافراد (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) وقال (صلى الله عليه واله وسلم): (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)، (يد الله على الجماعة) ومن شذ شذ في النار (وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) وإننا لنرى في صلاة الجماعة والجمعة والعديد وفي الوقوف بعرفة والإقامة بمنى تربية للمسلم على روح الاجتماع والتعاون ولقد قاوم الإسلام كل ما يؤدي الى التفرقة والخصام فحرم الغيبة والنميمة والكذب وبذاءة اللسان وفحش القول وشتم الناس في أعراضهم فقال (عليه السلام): لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ورغب ما يؤدي الى المحبة والألفة من افشاء السلام وأداء حقوق الأخوة الإسلامية.

الثالث: تسامح الفرد في حق نفسه وتشدده في حق الجماعة (محمد رسول الله) والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)، (ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور).

وهي شاملة لمختلف نواحي الحياة في البيت والسوق والمحكمة والمدرسة والادارة والثكنة، وفي داخل الدولة وخارجها وتهدف هذه القوانين الى توفير الكرامة والسعادة والسلام العالمي للناس جميعاً، على اساس من الحب والتراحم ومراقبة الله في السر والعلن (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا ذَنَابَهُمْ فِي الْبَدَنِ وَالْأَيْحَرَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَعَّالًا لَّنَاهُمْ عَلَيَّ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)، وبذلك كانت القوانين في الإسلام تدور حول الحقوق الإسلامية الضرورية لكل انسان وهي التي لا تكمل سعادته إلا بها: حق الحياة وحق العقيدة وحق العلم وحق العمل وحق الكرامة وهذا ما اجمع عليه الفقهاء الإسلام حين قالوا: (ان مقاصد الشريعة حفظ الضروريات الخمس: الدين والعقل والنفس والمال والعرض).

والأسس التي تقوم عليها هذه القوانين كلها اربعة:

1_ العدالة:

وهي اعطاء كل ذي حق حقه، حتى يشعر بكرامته ويطمئن على حياته ومعيشته وسلامته وهذه العدالة تقررها القوانين الإسلامية لكل طبقات المجتمع بلا استثناء، وفي كل ناحية من نواحيه تقررها في جو الأسرة حين تأمر الزوج بالقيام بحق زوجته وتأمر الزوجة لطاعة زوجها في حدود المعروف ومبادئ الشريعة، وتقررها في الأسرة حين تأمر الابن ان يرضى حق أبويه ويصاحبهما بالمعروف، وتأمر الأب أن يقوم بحق ولده عليه من التأديب والصيانة عن الفساد والانحراف وحين تأمر الأب بالعدل بين أولاده في العطايا والهبات قال (عليه السلام): (اتقوا الله واعدوا في أولادكم) كما تقررها بين الزوجات (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة).

وتقرر القوانين الإسلامية العالمية هذه العدالة في بيوع الناس ومعاملاتهم فلا تبيح أن يأخذ الرجل مال أخيه إلا برضى منه وطيب نفس من غير غرر وغش (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ بَيِّنَاتٍ كُمْ بِأَلْبَاطِلٍ إِلَّا بَرَاءَةً أَلَا تَتَذَكَّرُونَ تَرْجَارَةً عَن تَرَاصٍ مِّنْكُمْ)، وقال (عليه السلام): من غش فليس منا.

وتقررها في منصة القضاء فلا يميل القاضي لخصم على خصم اتباعاً لهوى أو انحيازاً الى عصبية
(وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ آمِنُوا كُفْرُؤُكُمْ قَوْمٌ مُمِينٌ لِلَّهِ شُهَدَاءُ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شِدَانُ قَوْمٍ عَلَى الْآلَاءِ تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى).

وتقررها ما بين الحاكم والشعب، أما الحاكم فعليه أن يبذل النصح ويسهر على الحقوق ويؤمن الخائف
ويردع الظالم، قال (عليه السلام): الإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، وأما الشعب فعليه أن يطيع حكامه
ما استقاموا على نهج الحق وأمروا بالخير واستمسكوا به قال (عليه السلام): على المرء المسلم السمع
والطاعة فيما أحد وكره الا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

وهكذا تسير القوانين الإسلامية في تحقيق العدالة في اصغر شؤون الناس وأعظمها، وما كره الإسلام شيئاً
كما كره الظلم والظالمين: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ الْإِيمِ)، وقال
(عليه السلام): اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة. وقال: اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها
وبين الله حجاب، بل يعلن الإسلام أن الظلم إذا فشا في أمة كان سبب هلاكها ودمارها: (وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا كَذَلِكَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا).

2- المساواة:

ومن خصائص عالمية الإسلام المساواة في القوانين العامة، فالإسلام لم يغفل عن مراعاة المساواة بين
الناس جميعاً امام القانون وامام الحق - فانظروا الى هذه الحقيقة ان الناس قد يتفاضل في العلم
والذكاء، والمال والنشاط، وقد يكون بعض الناس أكرم عند الله وأنفع للمجتمع من بعض آخر، مثلاً العالم
المخلص أنفع للمجتمع من الجاهل الخائن ولكن ذلك ليس له أثر في تساوي الناس أمام الحق والقانون
فمن قتل انساناً قتل ولو كان القاتل أعلم أبناء الأمة وأكثرهم دأباً على خدمة العلم ونفع الناس،
والمقتول من شر الناس وأكثرهم افساداً في الأرض، لكنهما في نظر القانون قاتل ومقتول فلا بد من انصاف
المقتول وعقوبة القاتل، وهكذا يساوي الإسلام بين الغني والفقير، وبين النابة والخامل، وبين العالم
والجاهل، وبين الأمير والعامل في سيادة القانون على السواء قال (عليه السلام): (الناس سواسية

وهذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مؤسس الشريعة ورئيس الدولة وزعيمها أمره ربه (قُلْ إِنِّي نَزَّمَا أُوتِنَا بِشَرِّ مَآذِلِكُمْ) ، ويقول لابنته فاطمة (رض): يا فاطمة بنت محمد إعلمي فلن أغني عنك من الله شيئاً ، ويقول: (والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

وكذلك لا يمتاز المسلمون على غيرهم في الحقوق والواجبات فالقوانين الإسلامية وخاصة الجزائية والمالية تطبق على المسلم وغير المسلم على السواء تطبق على المسلمين وغيرهم أنظمة البيع والشراء والزواج والعقوبات من غير أن يعفى منها مسلم وتفرض على غير مسلم ، والقاعدة العامة في ذلك (لهم ما لنا وعليهم ما علينا).

3- التيسير:

فالقوانين الإسلامية العالمية لم تكلف الناس بما لا يستطيعون أو بما يقطعهم عن ضروراتهم في الحياة ، والقاعدة في ذلك: (لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) ، حتى هذه القوانين التي روعي فيها التيسير ورفع المشقة لا تكون واجبة التنفيذ إذا أوقعت في الحرج والضيق ، فأكل الميتة والدم ولحم الخنزير حرام إلا إذا اضطر احد الى اكلها جاز له ذلك غير باغ ولا معتد ، قال تعالى: (إِن زَمَمَ حَرَّمَ عَلَيْهِ كُفُّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْدِّمَاءَ وَالْخَنزِيرَ وَمَا أَهْلَسَ لِيَغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ، والصيام واجب فإذا شق على النفس لمرض أو سفر أو ولادة سقط الوجوب (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) ، وهكذا تنوخى الشريعة دائماً رفع الحرج عن الناس: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ، وقال (عليه السلام): (يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا ، وسددوا وقاربوا).

4 - المصلحة:

رعاية مصالح الناس هي الأساس في كل التشريع الإسلامي، حتى في العبادات التي يبدو انه لا علاقة لها

بالمصالح، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتثبت عن الشدة وتدعو الى البر والخير عند اليسر، (إن الانسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين)، والصيام وقاية من الشح والقسوة والمرض وسوء الأخلاق: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، والحج طهارة ورحلة وتعارف وتعاون بين الاخوان الذين يجتمعون من اطراف العالم الإسلامي، قال تعالى: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ)، وهذه مصالح ضرورية لحياة الجماعات اما الزكاة فهي اظهر من أن نتكلم عن فوائدها الاجتماعية والاخلاقية: (خُذْ مِّنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا).

فإذا كانت العبادات في الإسلام وهي اركان الإسلام قد روعي فيها تحقيق مصالح الناس ومنفعتهم، كان التشريع الذي ينظم علائق الناس بعضهم ببعض أولى أن تراعى فيها مصالحهم وان لا يتوخى فيه إلا تحقيق حاجاتهم ومنافعهم.

وتجد في اثناء نصوص القرآن والسنة حين تعلل كثيراً من الأحكام بما يدل على رعاية المصلحة في تشريعها، وقد اتفق فقهاء التشريع على أن المصلحة هي قطب الرعى في أحكام الإسلام، وان لا يشترط إلا للمصلحة الناس.

وخلاصة هذا البحث ان الوحدة والأخوة الإسلامية تبتني على أمور أربعة:

1- وحدة العقيدة الإسلامية.

2- وحدة العبادات التي هي اركان الإسلام.

3- وحدة الآداب والأخلاق المطلوبة من كافة المسلمين.

وأخيراً الفت نظر المفكرين والباحثين الذين اشتركوا في هذا المجمع العالمي للوحدة الإسلامية الى أمرين:

1- يجب علينا في هذا الوقت الخطير أن نؤسس المجال الإسلامي العالمي باشتراك الدول الإسلامية لأن اليهود والنصارى والمشركين تداعى على المسلمين تداعى الأكلة الى قصعتها، وقد قال الله تعالى: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَينَهُمْ)، وقال تعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ).

فعلى الذين يعبدون الله وحده، وهم أمة محمد أمة واحدة، يلزم لبقائهم وحفظهم وأمنهم وسلامتهم تشكيل الهيئة الوجدانية العالمية بلا تأخير وامهال، ولا يعتمدوا على هيئة الاقوام المتحدة لأنها لا تضمن مفاد المسلمين والأمة الإسلامية، وايضاً علينا اخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب المقدسة لأنهم يكيدون دائماً على خلاف الحرمين الشريفين ومركز الإسلام والمسلمين.

2- لابد لمن يقوم بدعوة الوحدة الإسلامية أن تكون دعوتهم بريئة وخالية عن لون الطائفية والحزبية لأن من يدعو المسلمين للاتحاد والاتفاق وهم يريدون ان يجمعوا الناس الى عقيدة فرقة خاصة والى الطريقة المسلوكة فيما بينهم فلا تفيد مثل هذه الدعوة للتقريب بين المذاهب الإسلامية والتنظيم للوحدة الإسلامية. ولكن ينبغي لدعاة الاتحاد ان يتركوا الناس على مذاهبهم الخاصة بغير نقد وتنقيص على مسلكتهم المألوف، وان يوجهوهم الى اهمية اجتماع الفرق الإسلامية المنتشرة في منصة واحدة، على المقاصد الاساسية المتفقة بين المذاهب، ويكون هذا الاتحاد والاتفاق مع بقاء الاختلاف فيما بينهم من قديم الزمان، ومثل هذه الوحدة تكون اليسر وتحوز حسن القبول لدى الأمة، انشاء الله تعالى، وهذا آخر ما أردنا إلقائه بين أيديكم في هذه الحفلة المباركة.

وأرجو أن تعالی العلی القدير أن یوفقنا وإیاکم لما یحب ویرضی وهو علی کل شیء قدير.